

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾

يعني: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ﴾ وقت ﴿حِسَابُهُمْ﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عن ذلك بانشغالهم بالدنيا ومتاعها الزائل ﴿مُعْرِضُونَ﴾، والعجيب أنه: إذا زالت عنهم هذه الغفلة بعض الشيء، صاروا معرضين عن هذا اليوم، والإيمان به، والاستعداد له، وهذا الكلام، وإن كان لفظه للكافرين، فهو للجميع تنبيه، وتحذير..!!

ومن أحوال هؤلاء الذين ﴿هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ عن يوم القيامة هذا، أنه:

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٢﴾

أي: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ ويتلى عليهم ﴿مِّن ذِكْرٍ﴾ من القرآن، الذي نزل على محمد ﷺ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ شيئاً فشيئاً ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ﴾ منصرفون عنه ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون به، ويعرضون عنه. وما ذلك الحال إلا لأنه..

﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ ﴿٣﴾

أي: أن سبب ما هم فيه أمور:

الأول: أنه ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ فهي مشغولة عن هذا القرآن، وما فيه من إنذار

وتخويف باللهو واللعب.

الثاني: أن الرسول إليهم بشر مثلهم، ﴿وَأَسْرُوا﴾ بالغوا في إخفاء ﴿النَّجْوَى﴾ وهو الكلام الذي يدور بينهم، حقاً إنهم هم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. ماذا يقولون..؟ يقولون ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فبماذا يمتاز عليكم حتى يكون رسولاً؟ هلاً كان ملكاً؟ هلاً كان واحداً من القريتين عظيماً؟ الثالث: أنه ساحر يخدعكم ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾ وتصدقونه، ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ وفي كامل وعيكم؟ هذا هو موقف الكافرين من محمد ﷺ، ومما جاء به، ومما خوفهم منه.

ويكون رد النبي ﷺ عليهم:

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: ﴿قَالَ﴾ لهم مهدياً ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ويعلم سركم وجهركم، وطعنكم، واستهزاءكم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل شيء، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء، لا يعجزه عن عقابكم شيء سبحانه وتعالى.

ثم يكمل القرآن باقي الأسباب التي جعلتهم ﴿فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] عن القرآن ويلعبون ويستهزئون، فيقول المولى عز وجل:

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٍ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِتْنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾

السبب الرابع لتكذيبهم: ﴿بَلْ قَالُوا﴾ على القرآن إنه ﴿أَضْغَتْ﴾ أوهام وتخاريف ﴿أَحْلَمٍ﴾ يراها محمد في نومه.

السبب الخامس: أنه أَلْفَهُ من نفسه، واخترعه من عنده ﴿بَلْ أَفْتَرْتَهُ﴾.

السبب السادس: أنه شاعر، يهيم في أودية الشعر، وتخاريف الشعراء، ويدعي أنه نبي ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وما أتى به شعر.

السبب السابع: ليست معه آية تكون علامة على صدقه في دعواه

﴿فَلْيَأْنَأْ بِآيَاتِهِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ ومعهم الآيات؛

لنصده فيما يقول.

ويكون الرد عليهم، والتثبيت للنبي ﷺ:

﴿مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْتُهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

إنهم يكذبون، ويطلبون هذه الآيات ليؤمنوا؟! لن يؤمنوا، حيث إنه ﴿مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ﴾ جاءت الآيات، ولذلك ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ؟ كلا!!

ثم هم يقولون: أنت بشر مثلهم، ولم لم تكن ملكاً؟

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ﴾ (٧) ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (٨)

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩)

أي: هذه ليست علة لعدم إيمانهم، فنحن ﴿مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ من رسل ﴿إِلَّا﴾

كانوا ﴿رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، ولم يكونوا ملائكة، وإذا لم تكونوا مصدقين

﴿فَتَشَلُّوْا﴾ العلماء ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ من قبلكم، الذين أنزل عليهم التوراة

والإنجيل، فأنتم تصدقونهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

و - هؤلاء الأنبياء السابقون ﴿مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ أي: أجساداً ﴿لَا يَأْكُلُونَ

الطَّعَامَ﴾ بل كانوا يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإهلاك أعدائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ﴾ من أذاهم وأنجينا معهم

﴿مَنْ نَشَاءُ﴾ من أتباعهم، المؤمنين بهم، المصدقين لهم، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾

الملكذيين لهم، وفي إعلان قوي وتنبيه واضح يقول ربنا لهذه الأمة:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠)

يعني: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ هو القرآن الكريم ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم إذا تمسكتم به، وعزكم إذا عملتم بما فيه.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ذلك، وتذكرون هذه النعمة، وتمسكون بهذا الشرف، فتؤمنون، وتلتزمون، وتتفوقون، وتقودون به الدنيا وأهلها إلى بر الأمان والسلام..؟

وتعود آيات السورة إلى التحذير والإنذار للآهين المعرضين المكذبين، فيقول العزيز الجبار:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدٍ﴾ ﴿١٥﴾

يعني: اذكر لهؤلاء المكذبين، وأخبرهم ﴿كَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِنْ﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ أي: كافرة طاغية، بسبب كفرهم وطغيانهم، ﴿وَأَنْشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا﴾ أي: شعروا، وهم أهل القرية الظالمة ﴿بَأْسَنَا﴾ عذابنا، ورأوا مقدمات إهلاكنا لهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يفرون هرباً من العذاب.

وهنا قيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من نعيم الدنيا ومتاعها الذي طغيتم بسببه ﴿وَمَسْكِنِكُمْ﴾ التي عصيتم الله فيها، وظلمتم عباده سبحانه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُلُونَ﴾ وهذا من باب الاستهزاء بهم، أي: لعلكم تسألون عما جرى لكم ونزل بكم، فتخبرون من يسألكم عن علم ويقين ومشاهدة.

وعلى الفور.. ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ يا حسرتنا ويا هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا بكفرنا، ولغيرنا بطغياننا ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ وهي قولهم: ﴿يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ التي يكررونها، ويدعون بها على أنفسهم ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ﴾ فصاروا ﴿حَصِيدًا﴾ مثل الزرع الذي انتهى عمره، وتم حصده

﴿خَمِدِينَ﴾ لا حس ولا حركة فيهم، فهل تعتبرون بما حدث لهذه القرى التي كانت ظالمة؟ وهل تؤمنون؟

هذا، وإذا كان رب العزة قد بين أنه أهلك المكذبين وقصم ظهورهم، فإن ذلك منه: عدلاً لا لعباً، والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾ (١٦)

نعم، ليس شأننا اللعب ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ على هذا الشكل البديع العجيب ﴿لَعِينٍ﴾ بل للدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ونفع عبادنا. واللعب: لهو وعبث، ونحن:

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا لَّاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٧)

يعني: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا﴾ نلعب به ونتسلى: من زوجة أو ولد، أو عذاب للمكذبين، لما قد تفهمون ﴿لَّاتَّخَذْتَهُ﴾ أي: هذا اللهو ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من عندنا نحن لا من عندكم، ودون أن نخلق هذا الخلق بالمرة ﴿إِنْ كُنَّا﴾ ممن يريد اللهو، أو كنا ﴿فَاعِلِينَ﴾ له، ونحن لا نريده، ولا نفعله. ليس الأمر أبداً هكذا..

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨)

﴿بَلْ﴾ شأننا وأمرنا: أننا ﴿نَقْذِفُ﴾ نرمي بشدة ﴿بِالْحَقِّ﴾ وهو الإيمان ودلائله ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ وهو الكفر وشبهاته ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: يدحضه، ويذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ أي: الباطل ﴿زَاهِقٌ﴾ ذاهب، يُمحى دون أثر يتركه، أما أنتم يا أهل الباطل فـ ﴿لَكُمْ﴾ الويل والهلاك ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾ وتقولون على الله ما لا تعلمون مما لا يليق به سبحانه، وتقولون على الرسول ﷺ ما ليس فيه، من أنه: شاعر، أو ساحر، أو على القرآن أنه افتراه.

لما نفى رب العزة اللعب عن نفسه، فكأنه نفى حاجته عز وجل إلى غيره، ونفى

الحاجة هذا: لا يكون إلا عند توافر كمال القدرة، لذلك قال عز من قائل:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يُسَبِّحُونَ أَثِيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠)

يعني: كيف يحتاج المولى إلى ما تصفون و - هو الذي ﴿لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً، فهو الغني عن كل شيء، الذي لا يحتاج إلى أي شيء.

كيف يحتاج المولى إلى ما تصفون، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ولا يتعبون، بل ﴿يُسَبِّحُونَ أَثِيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ تسيبهم دائم متصل، كالتنفس عند الإنسان الحي.

إن الكافرين لم يكتفوا بما وصفوا الله تعالى به.. مما لا يليق بذاته، بل تجاوزوا القول إلى الفعل، يقول المولى عنهم:

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ (٢١)

﴿أَمْ﴾: بمعنى بل، يعني: بل اتخذ هؤلاء ﴿إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ﴾ كالأصنام الحجرية، والذهبية، والفضية.. إلخ هل يقولون عن هذه الآلهة ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي: يحيون الموتى ويبعثونهم؟ لا، لا يستطيعون قول هذا. إذا: لا يكون إلهاً، إلا من يحيي الموتى. كما أنه:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) أي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ يعني: السموات والأرض ﴿إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ غير الله معه سبحانه، كما يدعي هؤلاء المعرضون ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لخربتنا، وهذا قول كبير، ووصف خطير في حق الله تعالى.

﴿فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ خالقه، تنزه وتعالى ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من هذه الأقوال الفارغة.

فهو الإله القادر، الواحد الأحد.

﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣)

أي: ﴿لَا يُسْأَلُ﴾ من أحد ﴿عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه المالك الحقيقي والمحاسب الواحد ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ويحاسبون عما فعلوا؛ حيث إنهم عبيد مملوكون.

ثم يكرر ربنا تبارك وتعالى الحديث عن قضية اتخاذهم آلهة غير الله، استعظاماً لكفرهم، وتعجيزاً لهم عن وجود حجة لهم في ذلك، حيث يقول المولى عز وجل:

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمْ﴾: أيضاً بمعنى بل، يعني: بل اتخذ هؤلاء ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من غيره سبحانه ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونها، كالأصنام، وغيرها إن كان لهم دليل على ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ دليلكم الذي دفعكم إلى هذا، إنهم لن يأتوا بشيء من دليل على ما يقولون، لذلك قل أنت: ﴿هَذَا﴾ هو القرآن ﴿ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ﴾ من أمتي، وهذه الكتب السابقة ﴿ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ من الأمم المتقدمة وهو وهي يقولون، وبشئون: أنه لا إله إلا الله وحده - وهذه هي الحقيقة، ولكن ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذا ﴿الْحَقَّ﴾ ولذلك ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الإيمان.

وليس ذلك التوحيد في القرآن والكتب المتقدمة فقط، بل أيضاً:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ كذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ في أمة من الأمم ﴿إِلَّا﴾ وكنا ﴿نُوحِي إِلَيْهِ﴾ بهذا التوحيد، وهو ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ الواحد الأحد المستحق للعبادة ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أي: وحدوني، وأطيعوني.

هذا، وبعد أن نفى ربنا سبحانه وتعالى بالدليل الواضح عن نفسه شبهة الشريك والضد، بدأت الآيات الكريمة تنفي عن الله تعالى شبهة اتخاذ الولد. يقول الله تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ هناك من ﴿قَالُوا﴾ كذباً وزوراً ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ حيث قالوا:

الملائكة بنات الله، ويرد الله عليهم بقوله: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزهه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿بَلْ﴾ هؤلاء الذين قالوا عنهم إنهم بنات الله، ما هم إلا ﴿عِبَادٌ﴾ لله تعالى ثم وصفهم ربنا بعدة صفات:

الأولى: ﴿مُكْرَمُونَ﴾ عنده عز وجل، حيث: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

الثانية والثالثة: ﴿لَا يَسْقُضُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

يعني: أنهم لا يقدمون قولهم على قوله تبارك وتعالى، فهم في غاية الأدب مع قول الله وحكمه.

كما أنهم - في الصفة الثالثة - مطيعون لله في أفعالهم ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

ثم يقول سبحانه وتعالى عن باقي صفاتهم:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

هذه الآية تحدد الصفات التالية:

الصفة الرابعة: أنهم في منتهى الخضوع، وكمال العبودية؛ حيث إنهم علموا جيداً أنه سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مما عملوه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مما لم يعملوه.

الصفة الخامسة: أنهم لكمال عبوديتهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا﴾ بإذنه ﴿لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ له شفاعتهم.

الصفة السادسة: أنهم ﴿مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ أي: من خشيتهم من ربهم ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

الصفة السابعة: أنهم لا يدعون الألوهية.

يقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩)

وهذا لم يحدث منهم إطلاقاً، وعلى فرض أنه يحدث، فإن ﴿مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله ﴿فَذَلِكَ﴾ القائل ﴿نَجْزِي جَهَنَّمَ﴾ خالدًا فيها مخلدًا و ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين أيضًا.

وبعد هذه الردود القوية على فساد أقوالهم، يسوق المولى عز وجل الدلائل على وجود الصانع الحكيم، وتنزهه عن الشريك والنظير والشبيه، وهذه الدلائل في ذاتها رد بليغ على عبدة غير الله، حيث يقول سبحانه:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني ﴿أ﴾ جهل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولم يعلموا هذه الأنواع من الأدلة الواضحة، التي تقودهم إلى الإيمان..؟ وهذه الأنواع المذكورة في هذه الآيات الكريمة: ستة:

النوع الأول: فصل السموات والأرض ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا﴾ أي: ملتصقتين ﴿فَفَنَقَّْنَاهُمَا﴾ يعني: ففصلناهما عن بعضهما البعض.

وهذا يتفق ويؤكد ما وصل إليه العلم الحديث، من أن بعض المجرات تنطلق بسرعة هائلة خارجة عن مركز الكون، مما يدل على أن هذا الكون كان كتلة واحدة، ملتصقة ببعضها ببعض.

النوع الثاني: خلق كل شيء من الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي:

خلقنا كل شيء من الماء، وذلك لفرط احتياجه له، ثم يقول ربنا:

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بوحْدانيتي، وقدرتي؟

النوع الثالث:

تشييت الأرض بالجبال ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ حتى لا تتحرك بهم وتهتز، فلا يستقرون عليها، ولا ينتفعون بها.

النوع الرابع:

شق الطرق الواسعة في الأرض والجبال ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ أي: طرقاً ﴿سُبُلًا﴾ نافذة غير مسدودة، يمرون خلالها، ويتنفعون بها. ثم يقول ربنا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بهذا الدليل إلى وحدانية الله، وبهذه الطرق إلى ما يريدون الوصول إليه.

النوع الخامس:

حفظ السماء ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ للأرض، كسقف البيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن السقوط من جهة، ومحفوظاً بالشهب من الشياطين. وهذه السماء مليئة بالآيات، كالشمس والقمر والنجوم وخلافه، وكلها دالة على وجود الله.

﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار، عنها و ﴿عَنْ عَائِنِهَا﴾ هذه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن إعمال عقولهم فيها، والإيمان بسببها.

النوع السادس:

خلق الليل والنهار وخلق الشمس والقمر ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ أي: سماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسرون كل ذلك بقدرته وحده سبحانه، فهل يعتبرون، فيؤمنون؟

وهذه الأنواع من الدلائل، هي من أصول نعم الدنيا، ولذلك يتبعها الله عز وجل بما يدل به على أنها دار ابتلاء، نعيمها فاني، بل إن من خلقت له وهو الإنسان سيموت ولذلك ينبغي أن يتوصل بها - عن طريق الطاعة - إلى نعيم الآخرة فيقول سبحانه:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

نزلت هذه الآية لما قال الكفار شماتة: إن محمداً سيموت، فقال ربنا: نعم سيموت، ولكن هل سيبقى أحد في هذه الدنيا من البشر؟ كلا.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ﴾ كان ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ ولا ممن سيأتي بعدك ﴿الْخُلْدِ﴾ أي: البقاء الدائم، إذ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ سبحانه [القصص: ٨٨].

فلا تتألم من شماتتهم، ولا تتأثر بكلامهم فهم سيموتون أيضًا ﴿أَفَأَينَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ فيها؟.

كلا، بل أكثر من هذا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا، ﴿وَبَلْوُكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ فيها من فقر وغنى، وصحة ومرض، ﴿فِتْنَةً﴾ لننظر أتصبرون وتشكرون؛ فتؤجرون أولًا.

﴿و﴾ بعد هذه الحياة وما فيها ابتلاء ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بالموت، فنجازيكم على أعمالكم.

ثم يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِن يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

يعني: هؤلاء الكفار لا يشمتون بك فقط، بل يهزؤون، ويقولون لبعضهم البعض ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بسوء ويعيها، ويسفه أحلامكم أيضًا؟ ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾ الذي هو القرآن - في ذات الوقت - ﴿هُم كَافِرُونَ﴾ يعني: كفرون بالله، وبالرسول، وبالقرآن.

هذا، ومن كثرة استهزائهم، كانوا يستعجلون العذاب الذي يهددهم به رب العزة سبحانه، لذلك يقول جل جلاله:

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾

يعني: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ﴾ عَجُولًا في كل أموره، لذلك ينبغي عليه جهاد نفسه في الثاني والتعقل، وعلى الكفار أن لا ينساقوا وراء طبعهم، فيستعجلوا العذاب، وإلا فيقول تعالى لهم: ﴿سَأُورِيكُمْ ءَايَتِي﴾ الدالة على وحدانيتي، وقدرتي، فإن عصيتم وكفرتم: أعذبكم لا محالة، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ عذابكم، فهو آتيكم.

وهؤلاء الكفار يستهزؤون أيضًا..

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨)

أي: متى تأتي القيامة التي تتحدثون عنها، لنرى العذاب الذي تهددوننا به؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تقولون!!

ويرد عليهم الحكيم الخبير قائلاً:

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٣٩)

يعني: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا العذاب ﴿حِينَ لَا يَكْفُوتُ﴾ ويمنعون ﴿عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بأنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بغيرهم لما كفروا، ولما استهزؤوا، ولما استعجلوا موعد هذا العذاب.

وأما عن موعد القيامة، فيقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٤٠)

يعني: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ هذه القيامة التي يسألون عن مواعدها استهزاءً ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تجعلهم حيارى تائهين، عاجزين عن التصرف، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ ودفعها عنهم، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ويؤجلون إلى موعد آخر.

هذا، ولما كانت أقوال الكفار للنبي ﷺ استهزاءً، فقد قال له ربه:

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١)

يعني: لا تهتم باستهزائهم، فلك أسوة فيمن سبقك من إخوانك من الأنبياء حيث استهزأ بهم أقوامهم ﴿فَحَاقَ﴾ أي: نزل بهؤلاء الأقوام ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ من العذاب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وينكرون.

ثم أمره أن يقول لهؤلاء المستهزين مهبطاً:

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢)

أي: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَكْلُوكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ﴾ عذاب ﴿الرَّحْمَنِ﴾ إن نزل بكم؟ لا أحد يفهم، ولا أحد يجيب.

﴿بَلْ هُمْ﴾ لغفلتهم ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ وهو القرآن الذي يبين لهم ذلك ﴿مُعْرِضُونَ﴾ معاندون.

ثم يكون التوبيخ، وذلك في قوله عز وجل:

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (٤٣)

يعني: هل لهم آلهة غيرنا ﴿تَمْنَعُهُمْ﴾ وتحفظهم مما يسوؤهم لا، لا إنهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بأنفسهم أو بغيرهم ﴿نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ من عذابنا، ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ أي: يجارون فلا يعذبون.

وأما ما هم فيه من الحفظ والعناية الآن، فليس كما قد يتوهموا أنه من آلهتهم، أو من عند أنفسهم، أو من غير ذلك.

﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤)

أي: ﴿بَلْ﴾ الحقيقة أنا ﴿مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ بما أنعمنا به عليهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغثروا بذلك، وشغلوا بالنعمة عن المنعم، وقست قلوبهم، وظنوا أنهم خالدون.

﴿أَفَلَا﴾ يتعظون، حين ﴿يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ وننزعها منهم، بعد بسط سلطانهم عليها، ونجعلها لغيرهم؟ ﴿أَفَهُمْ﴾ يظنون أنهم ﴿الْغَالِبُونَ﴾ لله ورسوله كلا، فالله هو الغالب.

ثم يأمر الله رسوله ﷺ قائلاً:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥)

يعني: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ الذي هو القرآن، وهو من الله، وليس من عندي ولا من نفسي، ولكن اعلم أنه لا فائدة من قولك هذا لهم، حيث إنه ﴿لَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ وهم صم عن سماع الحق، فهم لا يسمعون، وإذا سمعوا لا يستجيبون ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ويخوفون بالعذاب.

هؤلاء حالهم لا يتغير إلا إذا عاينوا العذاب وشاهدوه..

﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنُودُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦)

يعني: هؤلاء لا يعترفون بالحق، ولا يقرون بفساد موقفهم حتى يمسه العذاب، فإذا مسهم منه ولو القليل ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معترفين، نادمين، متحسرين ﴿يَنُودُنَا﴾ وهلاكنا ﴿إِنَّا﴾ حقًا ﴿كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ وذلك يكون منهم في يوم القيامة، فاثبت أيها الداعي للحق على ما أنت عليه، وانتظر ما وعدناك به، في يوم القيامة.

يوم القيامة آت لا محالة:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧)

أي: ﴿وَنَضَعُ﴾ ونحضر ﴿الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ العدل، لميزان الأعمال وجزائها ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: في يوم القيامة، ويكون الميزان بالعدل.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة، أو زيادة سيئة.

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ العمل يزن ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: متناهي في الصغر والضالة، والحقارة ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ لتوزن فلا نهملها، أو نهمل جزاءها.

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ عالمين بكل شيء، محصين له، محيطين به، محضرين له.

والى هنا، وبعد أن تحدث ربنا فيما سبق من الآيات عن دلائل التوحيد والنبوة، والبعث، يبدأ في تقوية قلب النبي ﷺ، وتصويره على ما ينال من أذاهم، وذلك بذكر

قصص بعض الأنبياء، وما نالهم من أذى أقوامهم، ويبدأ ذلك بقصة موسى عليه السلام فيقول:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

أي: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ قبلك ﴿الْفُرْقَانَ﴾ وهي التوراة، الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءَ﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ موعظة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهم.. ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٤٩) فالمتقون هم:

أولاً: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ عذاب ﴿رَبَّهُمْ﴾ فيأتمرون بأمره، وينتهون عما نهى عنه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ وهم مؤمنون بالله إيمانهم بما غاب عنهم.

ثانياً: والذين ﴿هُمْ مِّنَ السَّاعَةِ﴾ أي: يوم القيامة، وما يحدث فيه ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون، ولذلك يمنعهم هذا الخوف من معصية الله.

ثم يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٠)

أي: ﴿وَهَذَا﴾ القرآن، الذي أنزلته على محمد كما أنزلت التوراة على موسى ﴿ذِكْرٌ﴾ وشرف لكم، ورفعة لقدركم، وموعظة لسلوككم، ومنهج لحياتكم.

﴿مُبَارَكٌ﴾ منفعه كثيرة، وعلومه وفيرة.

﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ على محمد وحياً، متلوّاً، متعبداً به، مطلوباً اتباعه والعمل به إلى يوم القيامة، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ أيها المعاندون الكافرون، بعد هذه الخصائص التي ذكرت، والمنافع في القرآن التي ظهرت.

﴿لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أنه وحى من عند الله على محمد ﷺ؟ وهذا السؤال لهم فيه توبيخ، وفيه - كذلك - تهديد لهم بما ينتظرهم جزاء هذا الإنكار من العذاب.

ثم تكون القصة الثانية: وهي قصة إبراهيم عليه السلام. يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾

يعني: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ فضلاً منا ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ عليه السلام ﴿رُشْدَهُ﴾ أي: هداه لوجه الصلاح في الدين والدنيا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى عليه السلام ﴿وَكُنَّا بِهِ﴾ أي: بإبراهيم عليه السلام ﴿عَالِمِينَ﴾ أنه أهل لما آتيناه.

اذكر: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ منكرًا عليهم: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ مقيمون ومستمرون على عبادتها؟

ولأنه ليس عندهم دليل صواب فيما يفعلون

وهنا: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

أي: ﴿قَالُوا﴾ له: نحن نقلد ﴿ءَابَاءَنَا﴾، فيما نفعل.

وهنا سقاه أحلامهم، وعاب آباءهم، وبين أن كثرة المتمسكين بالباطل لا تجعله حقًا

لذلك: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

يعني: ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ الذين تقلدونهم ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق ﴿مُبِينٍ﴾ واضح.

ولأنهم يستبعدون ضلال آبائهم، ويستبعدون عليه أن يكون جادًا فيما يقول..

﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

يعني: ﴿أَجِئْنَا﴾ في قولك هذا بالصدق ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ فيه؟

وعلى الفور بين لهم إبراهيم عليه السلام أن الأمر جد لا لعب فيه، وأن الحق واضح لا خفاء له، وكان هذا البيان منه؛ لفساد وبطلان ما هم فيه بالقول والفعل.

أولاً: بالقول حيث:

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ

الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

أي: ﴿قَالَ﴾ لهم هذه الأصنام ليست آلهتكم التي تستحق العبادة، وليست أربابكم التي تضر وتنفع ﴿بَلْ رَبُّكُمْ﴾ الجدير بالعبادة، والذي يضر وينفع، والذي خلقكم هو ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن فيهما، وهو ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقهن وحده، ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ الذي قلته ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أنه الحق دون ما سواه، ثم قال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ وأكسرن ﴿أَصْنَمَكُمْ﴾ هذه ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا﴾ تنصرفوا ﴿مُدْبِرِينَ﴾ بعيداً عنها.

ولم يقنعوا بكلامه، ولم يصدقوا تهديده. فكان البيان - ثانياً - لفساد ما هم فيه بالفعل.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

يعني: فانصرفوا، فجاء إلى أصنامهم ومعه الفأس ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ أي: فكسرها كلها قطعاً صغيرة ﴿إِلَّا صِنماً كَبِيرًا﴾ تركه ﴿لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ بالسؤال عما حدث، إذا ما رأوه واقفاً وحده بينهم؛ فلا يجيب، فيعرفون جهلهم، وخطأهم، فيتوبون ويؤمنون.

ولكن، لما عادوا ورأوا المنظر، لم يفكروا في عجزها عن الدفاع عن نفسها، وأنها لذلك لا تصح أن تكون آلهة يعبدونها، بل سألوا عن فاعل ذلك.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾

أي: ﴿قَالُوا﴾ لبعضهم البعض ﴿مَنْ فَعَلَ هَٰذَا﴾ الذي نراه من التكسير والإهانة ﴿بِآلِهَتِنَا؟﴾ ثم قالوا: ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بتكسيها، وتحقيرها.

ولم يسكتوا عما حدث لآلهتهم التي لم تدافع عن نفسها لعجزها، وراحوا يبحثون ويسألون عن الفاعل؛ حتى وجدوا من:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾

يعني: وجدوا من ﴿قَالُوا﴾ لهم: إنا ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بالسوء إذ كان يقول

لبعض الناس ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَفَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧].
وسألوهم من هذا الفتى؟ قالوا: لا نعرفه، ولكن ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.
وعلى الفور صدر قرار، ضبط وإحضار..

﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ﴿٦١﴾
أي: قال رؤسائهم للجنود ﴿فَاتُوا بِهِ﴾ أحضروه ﴿عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ﴾ على مرأى
ومسمع من الجميع ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بما قال، فنعاقبه على ما قال، ويشهد
الجميع عقابه، فيكون ردعاً لغيره. وجاءوا بهذا الفتى إبراهيم، وبدأ التحقيق.

﴿قَالُوا يَا أُنْتِ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾
أخبرنا من الذي فعل هذا بآلهتنا؟ أنت، أو غيرك؟
وأجاب عليه ساخرًا:

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾
أي: ﴿قَالَ﴾ لهم مستهزئًا بعقولهم التي لا تفكر: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾
الذي لم يكسر ﴿فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.
وعلى هذا، فقد أثبت لنفسه هذا الفعل؛ لأنهم لا ينطقون، ثم قال: فاسألوهم إن أمكن
ذلك.

وكان الرد بليغًا، والحجة واضحة..

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾

يعني: فعادوا إلى عقولهم يفكرون فيما قال، ويفكرون وعرفوا أن الحق ما قال: هم لا
ينطقون، فكيف يفعلون؟ وعلى هذا كيف يُعبدون؟ ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ
الظَّالِمُونَ﴾ في عبادتكم لها، وليس الظالمون من كسرهما، وهكذا أجرى الله الحق على
ألسنتهم.

ولكن أدركتهم الشقاوة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ﴾ (٦٥)

أي: عادوا إلى الكفر، ورجعوا إلى الجدال وقالوا لإبراهيم عليه السلام: ما هذا الكلام الذي تقول؟ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ﴾ فكيف تقول ذلك؟

ولأن ذلك اعتراف منهم بعجز آلهتهم

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

يعني: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام لهم ﴿أ﴾ جهلتم إلى هذا الحد ﴿فَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ إن عبدتموه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن لم تعبدوه، ثم قال ضجراً: ﴿أَفِ لَكُمْ﴾ ولآلهتكم التي تعبدونها.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام، التي لا تضر ولا تنفع، لا تستحق العبادة، ولا تصلح لها، بل الذي يستحقها هو الله سبحانه وتعالى؛ فآمنوا به واعبدوه.

إذن، هو الذي حطم آلهتهم، ولم يواصلوا الجدال، وعجزوا عن الجواب، فعدلوا إلى منطق البغي والظلم والإرهاب شأن الطغاة، الظالمين، في كل زمان ومكان..

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨)

أي: ﴿قَالُوا﴾ لبعضهم البعض ﴿حَرِّقُوهُ﴾ عقاباً على ما فعل، وعلى ما يقول، ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام لها منه ﴿إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: راغبين في نصرتها وكان هذا هو قرارهم.

وأوقدوا النار، وقيدوا إبراهيم بالقيود، وألقوه في النار..

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩)

لقد أبطل الله طبيعة النار الحارقة، وجعلها ﴿بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ﴾ عبده ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ الذي صدق بالحق، ووقف وحده ضد باطل قومه، مرضاة لله، فنجاه الله.

يقول رب العزة:

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠)

يعني: أرادوا، ودبروا، وكادوا له!! وأراد الله أمراً غير ما أرادوا، وكان ما أراد الله هو النافذ ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ فيما أرادوا، ونجاه الله من الحريق.

وأخرجه الله بسلام من بينهم، وأتم عليه النعمة، حيث يقول سبحانه:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١)

أي: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ منهم، ومن نارهم، وأخرجناه ﴿وَلُوطًا﴾ ابن أخيه من ديارهم ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ وهي أرض الشام، ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأنبياء، وانتشار هديهم بدين الله منها ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

ثم أكثر من هذا..

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (٧٢) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ ۖ يَا مَرْغُوبًا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ (٧٣)

يعني: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم، عطية منا ﴿إِسْحَاقَ﴾ نبياً عندما سأل الله الولد قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

﴿و﴾ - وهبنا له كذلك، ولد الولد، وهو ﴿يَعْقُوبَ﴾ نبياً أيضاً ﴿نَافِلَةً﴾ زيادة على ما سأل، ﴿وَكُلًّا﴾ من إبراهيم وإسحق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ بعد ذلك ﴿أَيْمَةً﴾ في الدين ﴿يَهْدُونَ﴾ يدعون الناس إلى دين الله ﴿يَا مَرْغُوبًا﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ وهي جميع الأعمال الصالحة.

﴿و﴾ أمرناهم، بـ ﴿إِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ هم ومن تبعهم.

﴿و﴾ - هكذا ﴿كَانُوا لَنَا﴾ لا لغيرنا ﴿عَبِيدٌ﴾. وبذلك انتهت قصة

إبراهيم عليه السلام.

ثم تكون القصة الثالثة وهي: قصة لوط عليه السلام. يقول الله تعالى:

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

يعني: ﴿وَلُوطًا﴾ أيضًا ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ كما آتينا إبراهيم رشده من قبل والمراد: الحكمة في القول، والفعل، والعلم.. هو الفقه. أي: آتيناه حكمة في قوله وفعله، وفقها في عقله وقلبه.

وكذلك: ﴿نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾ من اللواط وغيره، ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل هذه القرية ﴿كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله. ثم يقول: وأنعمنا عليه أيضًا بأن: ﴿أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ جعلناه من أهل رحمتنا، وأدخلناه الجنة، حيث ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ثم تكون القصة الرابعة وهي: قصة نوح عليه السلام. يقول تعالى ذكره:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ - اذكر ﴿نُوحًا﴾ عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء الأنبياء، قائلًا ﴿إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ لي [القمر: ١٠].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ حيث ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿٧٦﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَانْتَبَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٧٧﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَّاجِ وَدُسِرَ ﴿٧٨﴾ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١١ - ١٤]. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الطوفان.

﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾ خلصناه ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على وحدانيتنا

وقدرتنا. حيث ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ عاندوا ولم يؤمنوا ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ثم تكون القصة الخامسة وهي: قصة داود وسليمان عليهما السلام. يقول الحق سبحانه:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ عليهما السلام ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ في الزرع، حين ﴿نَفَشَتْ فِيهِ﴾ دخلت فيه ﴿غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ فأفسدته.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ وحكومتهم في هذا الموضوع ﴿شَاهِدِينَ﴾ عالمين، كما نحن في غيره وكان الحكم، ويبدو أنه كان مخالفاً للصواب، إذ قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: القضية وحكمها الصائب ﴿سُلَيْمَانَ﴾، ورجع داود إلى حكم سليمان.

﴿وَكُلًّا﴾ من داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ معرفة، ثم يذكر الله نعمه عليهما، فيقول عن إنعامه عليّ داود عليه السلام: ﴿وَسَخَرْنَا﴾ وذلّلنا ﴿مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه، ﴿وَالطَّيْرَ﴾ كذلك ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ مع الأنبياء هذه الأمور العجيبة، تدليلاً لكم، وتثبيتاً لهم.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ كذلك ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ وهي الدروع ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ وتحميكم ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ في الحروب. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لله، بالإيمان والعبادة؟

ثم يقول عن إنعامه عليّ سليمان عليه السلام:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ سخرنا كذلك ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ ... ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦] تارة، وتارة أخرى ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأنهار، والثمار، وهي بلاد الشام.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مریدین ﴿عَالِمِينَ﴾ به. هذا ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾ كذلك سخرنا ﴿مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ﴾ في البحار؛ لاستخراج كنوزها، ﴿وَيَعْمَلُونَ﴾ كذلك ﴿عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: غير الغوص في البحار؛ حيث كانوا ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ﴾ وَحَفَانٍ كَلْجَوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴿[سبأ: ١٣].﴾

﴿وَكُنَّا لَهُمْ﴾ أي: لهذه الشياطين ﴿حَافِظِينَ﴾ من أن يفسدوا ما عملوه، أو يهملوا في أدائه، أو يزيغوا عنه ويتركوه.

ثم تكون القصة السادسة وهي: قصة أيوب عليه السلام. يقول الله تعالى:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ ﴿٨٤﴾

يعني: ﴿و﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ لَمَّا ابْتَلَىٰ بِفَقْدِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ، وتمزيق جسده، وضيق عيشه، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، مدة من الزمن، فدعا ربه قائلاً ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ كما ترى ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ جميعاً.

وهكذا كما يقول الإمام النسفي: ألطف في السؤال؛ حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب. يقول الرحمن الرحيم: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاه.

﴿فَكَشَفْنَا﴾ بقدرتنا ﴿مَا﴾ نزل ﴿بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ إنعاماً عليه ﴿وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ حيث أحيا الله له أولاده بأعيانهم ورزقه كذلك ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بالإنجاب. وكان ذلك ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ لأيوب، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ لغيره من العابدين ليصبروا مثله، فينالوا من الثواب ما نال.

ثم تكون القصة السابعة وهي: قصة إسماعيل، وإدريس، وذو الكفل عليهم السلام، يقول تعالى ذكره:

﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ - اذكر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ و ﴿كُلٌّ﴾ من هؤلاء كان ﴿مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على طاعة الله، الصابرين عن معصيته، الصابرين كذلك على الشدائد والمحن، الصابرين على احتمال الأذى في نصرته دين الله. ﴿و﴾ هؤلاء: قد ﴿أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بالإنعام عليهم بالنبوة، والقيام بأعمال البر والصلاح.

﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المصلحين، الذين لا يعكر صلاحهم كدر الفساد.

ثم تكون القصة الثامنة وهي: قصة يونس عليه السلام. يقول سبحانه:

﴿وَإِذَا الْتُونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ اذكر ﴿ذَا الْتُونُ﴾ أي: صاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام، إذ ذَهَبَ ﴿بَعِيدًا﴾ عن قومه لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فلم يستجيبوا، وتركهم ﴿مُغْضِبًا﴾ لهم في عنادهم، ناقمًا عليهم كفرهم. ولكن لم يكن قد أُذِنَ له في ذلك؛ حيث كان عليه أن يصبر أكثر وأكثر حتى يؤذن له بالهجرة منهم، والبعد عنهم ﴿فَظَنَّ﴾ في بعده هذا الذي اختاره ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ﴾ نصيق ﴿عَلَيْهِ﴾ في اختياره للبقاء بينهم، أو البعد عنهم، فاختبرناه بالغرق، وبلغ الحوت له، وبقائه تحت رعايتنا فترة في ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، وعرف خطأه، وندم عليه، وتاب لربه.

﴿فَنَادَى﴾ ربه وهو ﴿فِي﴾ هذه ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ قائلًا: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في ذهابي من بين قومي، وتركهم لهم دون

إِذْ مِنْكَ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه، ﴿وَبَيَّغْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بهذا الدعاء، وكما نجيناه ﴿كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من عبادنا، إذا دعونا واستغاثوا بنا.
ثم تكون القصة التاسعة وهي: قصة زكريا عليه السلام. يقول الله عز وجل:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩)
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾
يعني: ﴿و﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّا﴾ عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ داعيًا ﴿رَبَّهُ﴾ قائلاً: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: هب لي ولداً، واجعله وارثاً لي في مقام النبوة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه.. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ ولداً هو ﴿يَحْيَى﴾ عليه السلام.
﴿وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ﴾ قبل ذلك ﴿زَوْجَهُ﴾ أي: زوجته، وجعلناها تأتي بهذا الولد بعد عقم، وكبر سن، وقد أجبنا من ذكرنا من الأنبياء دعوته، وحققنا له مطلبه، ومنهم زكريا على ما عرفت. حيث ﴿أَنَّهُمْ﴾ جميعاً ﴿كَانُوا﴾:
أولاً: ﴿يُسْرِعُونَ فِي﴾ عمل ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ بجميع أنواعها.
ثانياً: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ أي: يعبدوننا ﴿رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عقابنا.
ثالثاً: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ متواضعين، مخبتين، خائفين.
ثم تكون القصة العاشرة وهي: قصة مريم عليها السلام. يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩١)
يعني: ﴿و﴾ اذكر مريم ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ﴾ حفظت ﴿فَرْجَهَا﴾ من الحلال ومن الحرام.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أجرينا فيها ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ بعض الأرواح المخلوقة لنا، وهذا البعض هو: روح عيسى عليه السلام.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾ عيسى ﴿ءَايَةً﴾ دالة على وحدانيتنا وقدرتنا،
﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ من الجن والإنس والملائكة، في كل زمان، وفي كل مكان.

وبعد أن ذكر الله تعالى هذه الكوكبة من الأنبياء، خاطب الناس جميعاً، فقال عز وجل:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجُوعٌ﴾ (٩٣) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبُونَ﴾ (٩٤)

يعني: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الأمة المتمثلة في هؤلاء الأنبياء الذين ذكروا هي ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ التي إليها تنتسبون. وهي ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وملة واحدة، هي أمة الإسلام، وملة الإسلام؛ فلا تفرطوا في الانضواء تحت لوائها، والاعتزاز بالانتساب إليها، والتشرف بها.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا إله لكم، ولا رب لكم سواي ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ وأطيعون وحدي. هذا هو البيان الواضح، والأساس القوي. ﴿و﴾ لكن البشر ﴿تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ دينهم الواحد، وهو الإسلام الذي عليه جميع الأنبياء، وجعلوه قطعاً وأجزاء، وكل أخذ بجزء منه. على كل حال ﴿كُلُّ﴾ من هؤلاء الذين تفرقوا، وقطعوا أمر الدين، وكذلك الذين لم يتفرقوا، واجتمعوا مع الأنبياء على طريق الهدى ﴿إِلَيْنَا رَجُوعٌ﴾ فنجازي كل فريق بما يستحق.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ﴾ منهم شيئاً ﴿مِّنَ الصَّالِحَاتِ﴾ على اختلاف أنواعها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ ولا تضييع لشوابه، ﴿وَإِنَّا لَهُ كَنُوبُونَ﴾ حافظون.

حثنا المولى على الانضواء تحت لواء أمة الأنبياء الواحدة، وهي الأمة المسلمة؛ ودعوة للإيمان، وعمل الصالحات، فقال تعالى مبيئاً:

﴿وَحَرَمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥)

يعني: قدرنا وأوجبنا ﴿عَلَى﴾ كل ﴿قَرْيَةٍ﴾ أي: بلد أهلكنا أهلها بالموت، ﴿أَنَّهُمْ﴾ إليها أي: الدنيا ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَوَّلْنَا قَدْ
كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

أي: أن الناس لا يرجعون إلى الدنيا بعد موتهم ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ﴾ أسوار
﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ وخرجوا ﴿هُم﴾ على الناس، وصاروا ﴿مِّن كُلِّ
حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون.

﴿و﴾ بهذا يكون قد ﴿أَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ وهو مجيء يوم القيامة. وبالفعل
تقوم القيامة وساعتها يرجعون أي: الخلق كلهم ﴿فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ مفتوحة عيونهم لا تغلق، مأخوذة قلوبهم من هول ما يرون، يقولون:
﴿يُنَوَّلَنَا﴾ يا هلاكنا يا حسرتنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا لاهين ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَذَا﴾ الذي نراه ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا بعدم الإيمان، واتباع الرسل،
وعمل الصالحات.

ثم يهدد ربنا كفار الدنيا كلها قائلاً:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُّونَ ﴿٩٨﴾
لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا
زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

يعني: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها الكفار ومن معكم ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من
ما، أو صنم، أو طاغية، أو نساء، أو هوى، أو غير ذلك، تكونون يوم القيامة
﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ أي: وقودها، واعلموا أنكم ﴿أَنتُمْ﴾ ومن معكم من تعبدون
من دون الله ﴿لَهَا وَرَدُّونَ﴾ داخلون، معذبون. لاحظوا ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ
إِلَهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَا وَرَدُّوهَا﴾.

﴿و﴾ لكن ﴿كُلٌّ﴾ منكم ومنهم ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مخلصون، لا يخرجون منها
أبداً. فهل هؤلاء آلهة؟ لقد خاب في الدنيا الكافرون، ودخلوا في الآخرة جهنم. وصار

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أنين، وبكاء، وعويل، ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ كذلك ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً، من شدة غليانها.

رأينا حال الأشقياء، أبعدنا الله وإياكم عنهم، فلنتعرف على حال السعداء، جعلنا الله وإياكم منهم، يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقَّاهُمُ الْمَلَكُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

يعني: ﴿إِنَّ﴾ هؤلاء الأنبياء ومن تبعهم من أممهم، هم ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ وهي التوفيق للطاعة، والبشارة بالثواب عليها. يخبر عنهم ربهم بالآتي:

أولاً: ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾ عن جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾ أي: عن عذابها.
ثانياً: كما أنهم ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها، بسبب بعدهم عنها، وحمايتهم من الاقتراب منها.

ثالثاً: ﴿وَهُمْ﴾ فوق ذلك ﴿فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ من النعيم ﴿خَالِدُونَ﴾.

رابعاً: ﴿لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ عند دخول النار؛ لأنهم ينجون منها.
خامساً: ﴿وَنَلَقَّاهُمُ﴾ تستقبلهم ﴿الْمَلَكُ﴾ عند خروجهم من القبور، وعند دخولهم الجنة، تقول لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ السعيد ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ به في الدنيا.

نعم.. ﴿لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقَّاهُمُ الْمَلَكُ﴾..

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

يعني: يكون ذلك في يوم القيامة ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ نجتمعها ﴿كَطَيِّ السِّجْلِ﴾ وهو صحائف الأعمال ﴿لِلْكِتَابِ﴾ أي: للمكتوب فيها. وهكذا.. ﴿كَمَا

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ﴿١٠٥﴾ مِنْ الْعَدَمِ ﴿١٠٦﴾ نُعِيدُهُ ﴿١٠٧﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ فعله، بسبب إخبارنا عنه، وتعلق علمنا بوقوعه.

﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لهذا الوعد فاستعدوا له: بالإيمان، وصالح الأعمال.

كان ما سبق، ما وعد الله المؤمن في الآخرة، وأما ما وعده به في الدنيا، فيقول الله عنه:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) **﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾** (١٠٦)

يعني: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ وهو كتاب داود **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ وهي التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ بذلك ﴿لِقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾ موحدين.

ثم يقول ربنا لحبيه **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾**:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧)

وتتجلى هذه الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة معاً، وهي كذلك للكافرين، ولكن في الدنيا فقط؛ أحرَّ الله بسببه عنهم عذاب الإهلاك التام، والمسخ، والخسف. وعلى هذا..

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٨) **﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾** (١٠٩) **﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾** (١١٠) **﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ﴾** (١١١)

أي: ﴿قُلْ﴾ للجميع ﴿إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ﴾ من ربي ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لهذا الوحي وما فيه من

توحيد الله، وعبادته، والعمل بتشريعه؟ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عنك، وأعرضوا عن الإسلام ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿ءَاذَنْتُكُمْ﴾ أعلمتكم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ جميعاً، لم أترك منكم أحداً، ولم أخصص منكم أحداً، ﴿وَإِنْ﴾ أي: وما ﴿أَذْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْرٍ بِعِيدٍ مَا تُوعَدُونَ﴾ به من يوم القيامة، وعذابكم فيه، حيث ﴿إِنَّهُمْ﴾ سبحانه وحده الذي ﴿يَعْلَمُ الْجَهَرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ﴾ أي: وما ﴿أَذْرَىٰ﴾ كذلك ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: إخفاء موعد القيامة، أو تأخير العذاب عنكم ﴿فِتْنَةً﴾ اختبار ﴿لَكُمْ﴾ كذلك ﴿مَتَّعٌ﴾ تتمتعون فيه ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ موتكم.

هذا، وبعد أن أدى محمد ﷺ الأمانة، وبلغ الرسالة، وأذنهم على سواء، وحذرهم بغية البلاء: توجه إلى ربه الرحمن:

﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢)
أي: ﴿قَالَ﴾ عليه الصلاة والسلام، ﴿رَبِّ﴾ احكم بيننا وبين الكافرين ﴿بِالْحَقِّ﴾ العدل الذي أنت أهله، ثم قال ليختم كلامه، وتختم السورة: ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ﴾ العطوف على خلقه ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ وحده، فلا معونة إلا منه ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ وتقولون من الكذب.
